

خطبه الجمعة - الخطبة ١٨ : السعي بين الصفا والمروة .

لضيالة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ٢٧-١٢-١٩٧٤

بسم الله الرحمن الرحيم

الخطبة الأولى :

الحمد لله الذي سبحت الكائنات بحمده ، وعنت الوجوه لعظمته ومجده ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك ، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله ، اللهم صل على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه واعترته الطيبين الطاهرين .

الصفا والمروة :

أيها الأخوة المؤمنون ؛ في الجمعة السابقة وصلنا في مناسك الحج إلى السعي بين الصفا والمروة، ووعدتم متابعة الحديث عن مناسك الحج في هذه الجمعة .

يقول الله تبارك وتعالى :

﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوْ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطْوُفَ بِهِمَا وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلَيْمٌ﴾

[سورة البقرة]

وروى مسلم عن عائشة رضي الله عنها قولها :

عن عروة بْنِ الزَّبِيرِ قَالَ قُلْتُ لِعَائِشَةَ زَوْجِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : ((مَا أَرَى عَلَى أَحَدٍ لَمْ يَطِفْ بَيْنَ الصَّفَا وَالْمَرْوَةِ شِيئًا وَمَا أَبْلَى أَنْ لَا أَطْوَفَ بَيْتَهُمَا قَالَتْ يَسِّنَ مَا قُلْتَ يَا ابْنَ أَخْتِي طَافَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَطَافَ الْمُسْلِمُونَ فَكَانَ



إن الصفا والمروة من شعائر الله

سُنَّةً وَإِنَّمَا كَانَ مِنْ أَهْلَ لِمَنَاءَ الطَّاغِيَةِ الَّتِي بِالْمُشَلَّ لَا يَطْوُفُونَ بَيْنَ الصَّفَا وَالْمَرْوَةِ فَلَمَّا كَانَ الإِسْلَامُ سَأَلَنَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ ذَلِكَ فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ (إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوْ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطْوُفَ بِهِمَا) وَلَوْ كَانَتْ كَمَا تَقُولُ لَكَانَتْ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ لَا يَطْوُفَ بِهِمَا قَالَ الزَّهْرَى فَذَكَرَتْ ذَلِكَ لَأَبِي بَكْرِ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ هِشَامَ فَأَعْجَبَهُ ذَلِكَ وَقَالَ إِنَّ هَذَا الْعِلْمُ وَلَقَدْ سَمِعْتُ رِجَالًا مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ يَقُولُونَ إِنَّمَا كَانَ مِنْ لَا يَطْوُفُ بَيْنَ الصَّفَا وَالْمَرْوَةِ مِنَ الْعَرَبِ يَقُولُونَ إِنَّ طَوَافَنَا بَيْنَ هَذَيْنِ الْحَجَرَيْنِ مِنْ أَمْرِ الْجَاهِلِيَّةِ

وَقَالَ آخَرُونَ مِنَ الْأَصْصَارِ إِنَّمَا أَمْرَنَا بِالطَّوَافِ بِالْبَيْتِ وَلَمْ نُؤْمِرْ بِهِ بَيْنَ الصَّفَا وَالْمَرْوَةِ فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ (إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ) قَالَ أَبُو بَكْرُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ فَلَرَاهَا قَدْ نَزَلتْ فِي هَوَانَاءٍ وَهَوْلَاءٍ وَحَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ رَافِعٍ حَدَّثَنَا حُجَّيْنُ بْنُ الْمُتَّنَّى حَدَّثَنَا لَيْثٌ عَنْ عُقَيْلٍ عَنْ أَبْنِ شَهَابٍ أَنَّهُ قَالَ أَخْبَرْتِي عُرْوَةُ بْنُ الْزَّبِيرِ قَالَ سَأَلْتُ عَائِشَةَ وَسَاقَ الْحَدِيثَ بِنَحْوِهِ وَقَالَ فِي الْحَدِيثِ فَلَمَّا سَأَلُوا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ ذَلِكَ قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّا كُنَّا نَتَرَجَّلُ إِذْ نَطَوْفُ بِالصَّفَا وَالْمَرْوَةِ فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ (إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوْ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطْوِفَ بِهِمَا) قَالَتْ عَائِشَةُ قَدْ سَأَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الطَّوَافَ بَيْنَهُمَا فَلَيْسَ لِأَحَدٍ أَنْ يَتَرَكَ الطَّوَافَ بِهِمَا))

[أخرجه مسلم]



قد سأله رسول الله الطواف بين الصفا والمروءة فليس لأحد أن يترك الطواف بهما

ومن شروط السعي أن يكون بعد الطواف ، وأن يكون سبعة أشواط وأن يبدأ بالصفا ويختتم بالمروءة .

فهنيئاً لمؤمن سعى بين الصفا والمروءة، حتى صفت نفسه وهرول بين الميلين معلناً بهذه الهرولة تواضعه لله عز وجل ، لأن الهرولة تذهب هيبة المرء، وهالة العظمة التي يحاط بها في بلده ، وقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم قوله وهو يسعى بين الصفا والمروءة

عن امرأة من بنى نوفل رضي الله عنها قالت سمعت رسول الله يقول : ((رب اغفر وارحم إنك أنت الأعز الأكرم))

[أخرجه ابن أبي عمر في مسنده]

عرفة ركن الحج الأعظم :

وفي يوم الثامن من ذي الحجة ، يوم التروية ، يتوجه الحاج إلى منى ليبيت فيها مؤدياً خمس صلوات فيها ، استعداداً ليوم اللقاء ، الأكبر يوم عرفة ، وبعد طلوع شمس يوم التاسع من ذي



هنيئاً لمؤمن سعى بين الصفا والمروءة حتى صفت نفسه وهرول بين الميلين

الحجّة ، يتجه الحاج إلى عرفات مليباً ومهلاً ، ومكيراً ، وقد أجمع العلماء على أن الوقف بعرفة هو ركن الحج العظيم ، وفيه يتم اللقاء الروحي وفيه يتلقى المؤمن النفحات الربانية التي تغسل قلبه من كل درن وشهوة ، وتصفي نفسه من كل شائبة ، وهم ، وترقى بها إلى أعلى علبيين ، ولا شيء يؤلم الحاج في عرفات ، وقد تلقى من ربّه هذه النفحات إلا ما مضى من أيام وليلٍ أضاعها في سفاسف الأمور ، وهموم المعاش ، لقد شعر الآن ب الإنسانيته وخلود نفسه ، في رحاب الله ، لقد شعر الآن أن الدنيا لا تعدل عند الله جناح بعوضة ، ولو أنها تعدل جناح البعوضة ما سقى الكافر منها شربة ماء .



لقد أدرك المهمة التي خلق من أجلها ، وعرف حقيقة الحياة الدنيا وكيف أنها مزرعة للأخرة .

﴿ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ * إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّرِّ ﴾

[سورة العصر الآية : ٣-٤]

لقد تذوق معنى الحديث القديسي أن :

((يا بن آدم .. اطلبني تجدني ، فإن وجدت كل شيء ، وإن فتك كل شيء ، وأنأنا أحب إليك من كل شيء))

وبعد أن ذاق حلاوة اللقاء ، وحلوة المناجاة ، وانغمس في لذة القرب تصغر الدنيا في عينيه ، وتنتقل من قلبه إلى يديه ، ويصبح أكبر همه الآخرة ، ويسعى إلى مقدّع صدق عند ملوك مقتدر ، ويكشف له أن كل مصيبة ساقها الله إليه هي محض محبة وعنابة ، ويدرك معنى الحديث الشريف :

((إن الله ليحمي صفيه المؤمن من الدنيا كما يحمي أحدكم مريضه من الطعام))

﴿ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئاً وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئاً وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾

[سورة البقرة الآية : ٢١٦]



وينكشف له أيضاً أن سعادة الإنسان الحقيقة ، لن تكون إلا بوجهة النفس إلى ربها ، وتقبلها في رحمته ، وجنوها من جلاله ، وسعيها لخدمة خلقه ، وأن كل ما شرع لنا من عبادات ومعاملات ، هو من أجل الحفاظ على هذه الوجهة ، وذاك القرب ، ومع ذلك تستمع من بعض الحاج إلى كلام يذهلك يقول لك : أحدهم إنه في عرفات غط في نوم عميق استراح فيه من وعناء السفر ، وآخر يقول :

إنه استمتع بأكلة لذيدة لم يذق مثلاها في حياته ، وثالث يقول : إن خيمته مجهزة بكل وسائل الراحة.

أيها الأخوة ؛ ما قولك بإنسان أتيح له أن يقابل ملكاً عظيماً وحينما دخل عليه وجد كنبة مريحة فاستلقى عليها ، وغط في نوم عميق ، أو التفت إلى زاوية فرأى طعاماً نفيساً فراح يلتئم منه مديراً ظهره لهذا الملك .

أيها الحاج ؛ أما شغلك جلال الموقف ، وروعه اللقاء عن هذا الذي تحدثنا عنه ، ولو أن الوقوف بعرفة ، وهو ركن الحج الأعظم ، يقتصر على تواجدك الجسيمي فقط ، لما كان له هذه المكانة الكبيرة في العبادات .

أيها الناس ؛ تفهوا قبل أن تحروا ،
فإن الحج من العبادات التي تحتاج إلى
إعداد كبير ، وصدق شديد .
قال عليه الصلاة والسلام :

عن عبد الله بن عباس رضي الله عنه
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

((الحج عرفة))

[أخرجه مسدد بن مسرهد في مستنه]

ولكم أن تفهموا هذا الحديث على وجهين ؛ الأول : الوقف بعرفة ركن الحج الأعظم ، والثاني : الحج سياحة روحية هدفها الأول معرفة الله سبحانه وتعالى ، وقد أثر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله :

((خير الدعاء دعاء عرفة))

وقد روى البيهقي عن علي رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن أكثر دعاء من كان قبلني من الأنبياء ودعائي يوم عرفة أن أقول :

((لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قادر ، اللهم اجعل في بصري نوراً وفي قلبي نوراً ، اللهم اشرح لي صدري ، ويسر لي أمري ، اللهم إني أعوذ

بك من وسوس الصدر ، وشتات الأمر ، وشر فتنة القبر ، وشر ما يلح في الليل ، وشر ما يلح في النهار ، وشر ما تهب به الرياح ، وشر بوائق الدهر))

[أخرجه إسحاق بن راهوية في مسنده]

وكان أكثر دعاء النبي صلى الله عليه وسلم يوم عرفة :
عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
((اللهم لك الحمد كالذي نقول ، وخيراً مما نقول ، اللهم لك صلاتي ونسكي ، ومحياتي ومماتي ، وإليك مأبدي ، ولك رب تراثي))

[أخرجه الترمذى]

ويستحب الصيام يوم عرفة ، لغير الحاج ، ويستحب الإفطار يوم عرفة للحجاج ، ليتقوا به على الذكر والدعاء ، ويحسن جمع الظهر والعصر جمع تقديم ، وتقديم الخطبة عليهما ، ويحسن الإفاضة من عرفة بعد غروب الشمس بالسكينة والوقار لقوله صلى الله عليه وسلم :
((إن البر ليس بابضاع (أي الإسراع))

وكان صلى الله عليه وسلم يسير العنق ، أي السير الرفيق ، فإذا وجد فجوة نص ، أي أسرع .

مزدلفة ورمي الجمرات :

فإذا وصل الحجاج إلى مزدلفة صلوا المغرب والعشاء ، جمع تأخير وباتوا بمزدلفة ، وربما أحياوا تلك الليلة ذاكرين شاكرين الله على ما أولاهم من نعمة المعرفة ، والقرب ، والسنة أن يصلى الحاج الفجر بمزدلفة ، في أول الوقت ، فإذا أسفر الفجر وقف بالمشعر الحرام ذاكراً شاكراً له

قال تعالى :

﴿ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْغُوا فَضْلًا
مِنْ رَبِّكُمْ فِإِذَا أَفَضْتُمْ مِنْ عَرَفَاتٍ
فَادْكُرُوا اللَّهَ عِنْدَ الْمَشْعُرِ الْحَرَامِ
وَادْكُرُوهُ كَمَا هَدَأْتُمْ وَإِنْ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلِهِ
لَمِنَ الظَّالِمِينَ * ثُمَّ أَفْيَضُوا مِنْ حَيْثُ



يتجه الحجاج إلى مزدلفة ليصلوا المغرب والعشاء جمع تأخير وبيتوا فيها

السعى بين الصفا والمروة

أَفَاضَ النَّاسُ وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٤﴾

[سورة البقرة]

ويلقط الحاج من مزدلفة سبع حصيات ليحذف بها جمرة العقبة والسنّة أن تكون الحصيات صغيرات ، وبحجم الحمصة أو أكبر قليلاً ، ولا يجوز الرمي بشيء فوق هذا الحجم ، كما يفعل بعض الحاج اليوم لما في ذلك من أذى للمسلمين ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : عن سليمان بن عمرو بن الأحوص الأزدي رحمه الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((أيها الناس ؛ لا يقتل بعضكم بعضاً إذا رميت الجمرة فارموا بمثل حصى الخذف))

[أخرجه الطبراني في المعجم الكبير]

ورمي الجمار في الأصل تعبير رمزي عن حالة الحاج الذي أشرقت نفسه بنور المعرفة في عرفات ، وزكت بنفحات القرب عند جبل الرحمة إن رمي الجمار ، تعبير عن حالة الحاج الذي استثار بنور الله وتفتحت بصيرته فرأى الحق حقاً والباطل باطلًا ، إن رمي الجمار تعبير عن معاداة الشيطان ، ومحاربته ، بعد أن حصلت المعرفة شرع الله للمسلمين رمي الجمار في الحج تأسياً بـ عليه الصلاة والسلام



فلا سلطان له عليه بعد اليوم .

يقول أبو حامد الغزالى مبيناً حكمة رمي الجمار :

اعلم أنك في الظاهر ترمي الحصى في العقبة ، وفي الحقيقة ترمي بها وجه الشيطان ، وتقصم ظهره ، ولا يحصل إرغام أنفه إلا بامتثالك أمر الله سبحانه وتعالى .

وبعدها ينحر الحاج هدية الله عز وجل ، وتعبيرأً عن شكره ، لما من الله عليه من نعمة الهدى والمعرفة ، وتأكيداً لذبح شهواته ونحر رغائبه وقد فصلت هذا في خطبة العيد ، وبعدها يحلق

الحج أو يقصر ، وقد روى البخاري ومسلم أن النبي صلى الله عليه وسلم قال :

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ :

((اللَّهُمَّ ارْحَمْ الْمُحْلَّقِينَ قَالُوا وَالْمُقَصِّرِينَ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ اللَّهُمَّ ارْحَمْ الْمُحْلَّقِينَ قَالُوا وَالْمُقَصِّرِينَ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ وَالْمُقَصِّرِينَ وَقَالَ اللَّهُمَّ حَذَّنِي نَافِعٌ رَحْمَ اللَّهُ الْمُحْلَّقِينَ مَرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ قَالَ وَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ حَذَّنِي نَافِعٌ وَقَالَ فِي الرَّابِعَةِ وَالْمُقَصِّرِينَ))

[أخرجه البخاري ومسلم]



وبعد التحليق أو التقصير يتحلل الحاج من بعض محظورات الإحرام وبعد طواف الإفاضة وهو الركن الأخير من أركان الحج يتحلل الحاج من كل محظورات الإحرام .

ويستحب أن ينهي الحاج حجه بالطواف بالبيت ، وهو طواف الوداع وقد ورد بعد التحليق أو التقصير يتحلل الحاج من بعض محظورات عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الإحرام قوله :

عن عبد الله بن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

((لا ينفر أحدكم حتى يكون آخر عهده بالبيت))

[أخرجه مسلم وابن خزيمة في صحيحه]

ويستحب للمودع أن يدعو بدعاء ابن عباس " اللهم إني عبدك وابن عبدك وابن أمتك ، حملتني على ما سخرت لي وستررتني في بلادك حتى بلغتني بنعمتك إلى بيتك ، وأعنتني على أداء نسككى فإن كنت رضيت عنى فازدد عنى رضى ، وإلا فمن الآن فارض عنى قبل أن تتأى عن بيتك داري فهذا أوان الانصراف ، إن أذنت لي غير مستبدل بك لولا بيتك ، ولا راغب عنك ولا عن بيتك ، اللهم فاصحبني العافية في بدني والصحة في جسمى والعصمة في ديني وأحسن منقلبى وارزقنى طاعتكم ما أبقيتني ، واجمع لي بين خيري الدنيا والآخرة ، إنك على كل شيء قادر ." .



يستحب أن ينهي الحاج حجه بالطواف بالبيت ، وهو طواف الوداع



اللهم أعنّتني على أداء نسكى فإن كنت رضيت عنى
فازدد عنى رضى

وقال عليه الصلاة والسلام :

عن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها: عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

السعى بين الصفا والمروة

((إذا قضى أحدكم حاجته فليتعجل إلى أهله))

أيها الأخوة الكرام ؛ حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا ، وصلوا ما بينكم وبين ربكم تسعدوا ، واعلموا أن ملك الموت قد تخطانا إلى غيرنا ، وسيتخطى غيرنا إلينا ، فلتحذ حذرنا ، الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت ، والعاجز من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله الأماني .

والحمد لله رب العالمين

1

الخطوة الثانية :

الحمد لله رب العالمين ، وأشهد أن لا إله إلا الله ولي الصالحين ، وأشهد أن سيدنا محمدًا عبده
رسوله صاحب الخلق العظيم .

الدعاة :

اللهم اهدا فيمن هديت ، وعافنا فيمن عافت ، وتولنا فيمن توليت ، وبارك لنا فيما أعطيت ، وقنا
واصرف عنا شر ما قضيت ، فإنك تقضي بالحق ولا يقضى عليك ، اللهم أعطنا ولا تحرمنا ،
أكرمنا ولا تهنا ، آثرنا ولا تؤثر علينا ، أرضنا وارض عنا ، اللهم صن وجوهنا باليسار ولا
تبذلها بالإفتار ، فنسأله شر خلقك ، ونبتلي بحمد من أعطى ، وذم من منع ، وأنت من فوقيم ولني
العطاء ، وبيدك وحدك خزائن الأرض والسماء .

اللهم اهدا لصالح الأعمال لا يهدي لصالحها إلا أنت ، واصرف عنا شر الأعمال لا يصرفها عنا إلا أنت .

والحمد لله رب العالمين